عين التكوين

العودة إلى الدراسة.. والحلم بها

يحلّ سبتمبر ضيفا استثنائيا، لا يختلف عن بقية الشهور، لكن ما تمر به من فواصل وتفاصيل تحيله إلى استثنائية مترقبة..

هو شهر يصادف أيام الحج، وأيام عيد الأضحى، وجريان المياه في سواقي التعليم حيث بدأت هذه المرة أواخر أغسطس، لكنها تكتسب سلاستها من خلال سبتمبر..

هو شهر التحدي لرب الأسرة وهو يعبر بدخل محدود فواصل مهمة على أجندة العام، بدءا من متطلبات شهر رمضان وهو يواجه العاصفة الاستهلاكية في شقها الغذائي، ثم مستلزمات عيد الفطر وليست خافية ضخامة فواتيرها على جيب أحد، وصولا إلى ما تحتاجه جملة «العودة إلى المدارس»، وقد ضربت عاصفتها الكثير، خاصة أرباب الأسر الكبيرة، ومتطلبات مدارس تتزايد، عدا ارتفاع كلفة الالتحاق بالخاص منها.

وقبل أن يستعيد المرء توازنه فإن فواتير مناسبة أخرى تأتي إليه، حيث ملابس العيد والأضاحي، ليس بالضرورة كما تحتاجه المناسبة، إنما حسب الحالة العامة السائر فيها المجتمع، والمستفيد من انجرافنا الاستهلاكي محلات الخياطة كأبرز مستفيد، وهي أموال طائلة تخرج بعيدا عن بلادنا.. واقتصادنا الوطني.

**

تقترب مجلتنا «التكوين» من استثنائية سبتمبر، وأحداثه.. من تلك العودة إلى المدارس، بعد إجازة بدت طويلة على الأسر وهي تبحث عن تسلية مفيدة لأبنائها، لعلّ حصاد المقاعد الدراسية يستقر في وجدان جيل يجعل من الكتب مجرد سلّم إلى اكتساب الدرجات وليس حصاد معرفة يمكن البناء عليها من خلال أدوات أخرى تكسبه المزيد من العلوم والثقافة.

لقد كانت رحلتنا إلى التعليم طويلة وشاقة، منذ صورة المدارس الثلاث الوحيدة في قائمة إحصائيات التعليم في السلطنة، ووصولا إلى أكثر من ألف مدرسة تتوزع على خارطة البلاد فاتحة أبوابها للجميع، دون استثناء، لكن التحديات، منذ المهمة الأولى لمحو أمية جيل لم يعرف المدارس، وإلى مهام تتناسل من الصعوبات، تلقي بعبئها على المعنيين بالأمر، وكلمة «المعنيين» لا تشير فقط إلى وزارة التربية والتعليم، بل إلى كل بيت يخرج منه طلابا، حيث المسؤولية الأولى تبدأ من الأسرة، ولا تنتهي بها.

**

رغم ضخامة التحديات جميل أن نتحدث عن التعليم، عن رحلة العمر على مقاعد الدراسة، والطفولة التي نراها بمدى هائل من الذكريات.. والشجن العابر للسنوات، نرى أنفسنا من جديد في أبنائنا، نقرأ طفولتنا في دفاترهم وحقائبهم المدرسية، يعيدون كتابة تاريخهم،

وقد أصبحنا في مرحلة الحصاد لما كتبناه ذات عمر، نخطط ليكون ما يسطّرة أبناؤنا أفضل مما سطّرناه، نتمنى أن يكون لهم ما عجزنا عن بلوغه، نؤسس ما ضغطت علينا الظروف فلم ننجزه كما حلمنا وأردنا.

نبتهج بعبورهم عاما بعد عام، ويكبرون في أعيننا بأحلامنا لهم..

**

ورغم المناسبات في هذا الشهر إلا أن موضوع العودة للمدارس يشكل هاجسا كبيرا للمجتمع، ضاغطا ليس على صعيد الاستعداد له فقط، بل عبر مجموعة من التفاعلات والتداعيات، والإحساس بضغط هائل، خاصة في البيوت التي يكون بها طالب / طالبة في مرحلة الدبلوم العام، فيصبح العامل النفسي لإدارة الضغوط، على الطالب والمعلم والأسرة مهما حدّ الاهتمام به، فالقضية أكبر من كونها بحثا عن درجات ترفع المعدّل، لأن غياب التخطيط الواعي وإدارة الوقت والجوانب النفسية يفقد الطالب التركيز ويحدث ما لا يحمد مع ظهور النتائج، حيث الأرقام تفتح دروبا للسير عليها نحو بوابات المستقبل، أبسطها ذلك الفارق الهائل بين أن يدرس ابنك على نفقة الحكومة.. أو على نفقتك!

**

وفيما يعود أطفال العالم إلى مدارسهم، في مثل هذا الأيام من السنة، يبحث أطفال، في أمكنة أخرى، عن طرقات نحو مدارسهم، شوارع لا تقف مفخخة على ناصيتها، ولا تصاب بوابل من براميل متفجرة، ولا ينتظرون على أبواب الملاجئ لعل الوطن يقترب أكثر فتحين ساعة العودة، وقد تكاثر الزمن على أعمارهم سنوات بأمل أن تهدأ أحقاد المتحاربين، فتستيقظ ضمائر، ويتحسر القاتل على المقتول.. ولو قليلا.

قبل عام كانت المدرسة تبدو أقرب لأولئك المشردين بعيدا عن أوطانهم، كما هو شأن الأوطان، تبدو جراحها أكثر قابلية للالتئام.. عدد القتلى أقل بكثير، والنزف لم يبلغ ما بلغه هذا العام، وكان الأمل أكبر، إنما تتضاعف الحسابات السوداء، وتتضاءل فرص وجود ثمة بياض يبدو كضوء ضعيف آخر النفق.

**

تبدو المعرفة هي النقطة المحورية في تحرر العالم من همجية العنف، حيث العلم يواجه التخلف، اتساع رؤية العلم والمعرفة في مواجهة انغلاق القابعين تحت دوائر الجهل والتخلف.. حيث الفارق الهائل بين الساعين لتوزيع رقعة نور العلم ليمنح حياة أجمل للبشرية.. وأولئك الذين يضيقون بعقدهم النفسية فيوزعون الموت على كل عابر سبيل، يمارسون القتل ضد الإنسانية، يصبون وابل جهلهم وجاهليتهم على أبرياء، في مجمع أو في سوق أو في شارع، كل ما تناله مفخخاتهم ورصاصاتهم قابل للموت.

هناك معرفة، إذاً، تصنع الحياة.. وتجمّلها.

وأخرى، لا يمكن أن نصنفها معرفة، تدفع لقتل المخالف، أو ممارسة الرعب ضد أي كائن بشري، مع الاحتفاظ دوما بحق الافتخار بتبنّي «عملية القتل» لتضاف إلى سجلّ مضرج بالدم.

أي معرفة تدفع إلى صنع حياة جميلة تسعد البشرية؟ وأي (معرفة) يمكنها أن تجيز لقاتل حق تنفيذ الموت في الآخرين، حتى وإن كان الآخر أما أو قريبا؟!

لنراجع أنفسنا، دوائرنا الصغيرة والكبيرة، بدءا من ألعاب أبنائنا، وليس انتهاء برفقائهم.

رئيس التحرير